

5

قصص المبشرون بالجنة

حبيب الرسول
وجاره في الجنة

سليمان الحناني



دار اللطائف

حبيب الرسول وجاره في الجنة

(الزبير بن العوام)

كان الإسلام مازال غريبا في مكة .. لم يؤمن به إلا قلة
قليلة تعيش في عزلة فرضتها عليها قوى الطغيان .. فيؤثروا
تجارة التجار .. ونحووا الزعامة عن زعامتهم .. وبقي
المسلمون يستخفون في دار (ابن الأرقم) يتقابلون سرا ..
ويصلون خفية ويتدارسون القرآن همسا .. وشاع في مكة
أن (عمدا) قد قُتل ..

راستل الفتى (الزبير) سيفه وشهره عاليا ، وراح يحمرى
في طرقات مكة يشفق من الخير ، وهو يقسم في نفسه أن
يطيح برقاب أهل مكة كلها إذا كان الخير صحيحا ..

ولقيه الرسول وهو في حالته هذه .. فهذا من روعه
وباركة وصلّى عليه ودعا له بالخير والسيف بالغبية ..

فمن هو (الزبير) .. هذا العنق المسلم القوي الجريء ..
هو (الزبير بن العوام) ابنُ السيلة (صفوية) بنت عبد
الطلب عمه النبي عليه السلام ..
ويلتقى نسب الزبير مع نسب النبي محمد في جددهما
الرابع (قصي بن كلاب) .

أسلم الزبير مبكراً .. وكان لم يزل فتى في حوالى الخامسة
عشرة .. ويقال في الخلعة عشرة .. لهذا فقد تعرض لتعذيب
مبرح من عمه الذي كان يلفه بحصير ويعلقه من قدميه ثم
يدخن عليه بالنار حتى يكاد يخنق ثم ينال عليه ..

- اكفر برب محمد أفرأ عنك هذا العذاب .

فيجيبه الفتى المؤمن :

- لا .. والله لا أعود للكفر أبداً ..

وبهاجر (الزبير) إلى الحبشة في المجرتين : الأولى
والثانية ، هرباً من هذا العذاب وهذا الاضطهاد ، ثم يعود

إلى جوارِ رسولِ الله ويتزوج من أسماء بنت أبي بكر
(ذات النطاقين) ..

هكذا يلتقي رجل مبشر بالجنة مع فئة مبشرة بالجنة في
زواج يرزقان منه بسبعة من الأولاد، حملوا جميعاً أسماء
شهداء الدعوة الإسلامية ، فقد كان أبوهم يتمنى أن يسألوا
شرف الشهادة مثل سابقهم ..

شهد (الزبيرُ بنُ العوام) كل غزوات رسول الله وله في
كل موقعٍ بطولاتٌ تشهد عليها هذه الرواية التي قصها
علينا واحد من أصحابه .. الذي يقول :

"صحبت (الزبيرُ بنَ العوام) في بعض أسفاره ورأيت
جسده .. مجذعا بالسيوف ، وإن في صدره لأمثل العيون
الغائرة من الطعن والرمي ..

فقلت له : والله لقد شاعفتُ بحسبك ما لم أوه بأحد

نقط

فقل لي : أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله وفي

سبيل الله ..

فهل تقف مع (الزبير بن العوام) في (غزوة بدر
الكبرى) في أولى هذه المواقع الكبرى التي شهدتها الصراع
العسكري بين الكفر والإيمان؟

حصلت قريش لهذا اليوم عذتها مع خير فرسانها
يتصدرهم أشهر فرسانها (عينه بن سعيد بن العاص)
المشهور بشدة وبطولته النادرة وفروسيته الفذة ..

وقف (ابن العاص) في مقدمة الصفوف متدعاً من قمو
راسه إلى أخمص قدميه متحدياً من (يتهور) ومحاذف بمنزلاته

لكن من يقدر على هذا القاموس المشهود له وقد اختفى
كل جسمه تحت الدروع ولم يعد يرى منه إلا عينه ..

وتقدم إليه الزبير بن العوام .. وراح يلسف حوائه

وبدر ويفكر ..

وفجأة دفع الزبير رعه القصيرة (العزة) ووجه بها طعنة نافذة يلاذ الله اختارت عين (ابن العاص) لتستقر في مؤخرة راسه ..

وانطلقت صرخة الفرع والالم من عدو الله وهو يسقط جثة معلقة امام باقي المشركين الذين كانوا يعقدون عليه الامل الكبار .

عنا دب الفرع في صفوف قريش .. وعلت صيحات التكبير في صفوف المسلمين .. وكانت طعنة (ابن الزبير) النافذة بداية لانصار كبير حقه جند الله من المسلمين .. في غزوة (بدر) ..

ولما علم رسول الله بما فعل الزبير دعا له وطلب رعه القصيرة (العزة) واحتفظ بها تكريما لها ولصاحبها ..

ولم يكن يوم (بدر) هو فقط يوم الزبير .. بل كانت كل

أيام الإسلام أياته ..

يروى عن الزبير أنه ذهب مع (علي) كرم الله وجهه إلى

أحد الحصون المنيعه (بني فريضة) أثناء حصارهم .. ثم وقفا

دون باب الحصن وقالا معا:

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة" أو لنفتحن عليهم

حصنهم" ..

ثم اندفعا معا إلى الحصن ففتحها بآته وسط دهمول

المختبئين فيه ..

ودخله المسلمون يذن الله مهللين مكبرين ..

أما يوم (اليرموك) فقد كان يوما مشهورًا بين المسلمين

والروم من أرض الشام ..

وكان الروم قد حشدوا جيوشهم القوية الكبيرة .. إلا أن

المسلمين لم يهابوا هذا الحشد، ولم يرهبوا تلك القوة ..

(عن حرة بن عبد الملك عن أبي حمزة الثمالى عن محمد بن عبد الله بن موهبة)

وكيف يهابون وهم يحملون في قلوبهم إيماناً يحبب إليهم طلب الشهادة ؟

اجتمعت مجموعة من أبطال المسلمين ، وجاءوا إلى الزبير وقالوا :

- ألا تحمل^(١) فتحمل معك ؟

- قال الزبير : نعم ..

وانطلق الزبير ومن خلفه جماعة المسلمين يشق الصفوف ، لا تمنعه قوة .. شاهراً سيفه ، حاملاً رمحاً وراح يقاتل قتلاً الفدائي .. وانتقلت روحه القوية إلى باقي رجاله ، فأشاعوا الرعب في صفوف الروم ..

وحقق جيش الإسلام في اليرموك نصراً بعد نصر .. وغلد التاريخ اسم (الزبير بن العوام) قائداً .. فدائياً .. مناضلاً .. مقداماً ..

(١) ألا تحمل أي نفوذ حمله أو قلن غارة على الأعداء ..

تتابعت فتحُ المسلمين .. وارتفعت رايةُ الإسلام في
عديدٍ من البلاد .. ودخل المسلمون مصر بقيادة (عمرو بن
العاص) .

مضت جيوشُ (عمرو) تطوى أرض مصر دون مقاومة
تذكر .. لقد حجب المصريون بهذه الدعوة ردأوا فيها
خلاصاً عما يلقونه من ظلم ويطش من جانب الحكم
الروماني .. حتى إذا وصلت جيوشُ المسلمين إلى الحصن
ببليون) شعر ابن العاص أنه بحاجة إلى مدد يعاونه على
اقتحام هذا الحصن الذي تمركزت فيه كلُ قوى الرومان في
مصر .. فكتب إلى (ابن الخطاب) يطلب المساعدة .

وأرسل (ابن الخطاب) إلى (ابن العاص) أربعة آلاف
جندي بقيادة أربعة من خيرة القادة .. وكتب إليه يقول :

"لقد أمددتك بأربعة آلاف عليهم أربعة من مشاهير

الصحابة الواحد منهم بألف رجل"

فمن هم هؤلاء الصحابة الذين يعاط الواحد منهم ألف رجل ؟

إنهم (الزبير بن العوام) ، و (عبد الله بن الصامت) .. و (المقداد بن الأسود) ، و (مسلمة بن مخلد) .. (عليهم رضوان الله) ..

وتتجه جيوش الإسلام بعد هذا الدهم إلى حصن (بابلون) المنيع .. ويشعروا الجميع أن اللحظة حاسمة وأن الموقف حرج وخطير .. إنها لحظة فاصلة في تاريخ نشر دعوة الإسلام ..

ويومها تتجلى عبقرية (ابن العوام) العسكرية وفدائيته .. فقد تسلل إلى أحد جدران الحصن حيث وضع سلماً ليصعد عليه ، وطلب من المسلمين أن يجيئوه مجتمعين إذا ما سمعوه يطلق الصيحة الكبرى .. الله أكبر .. ويصعد (ابن الزبير) الحصن في هدوء حتى يرتقى قمته ثم يطلق

صيحت (الله أكبر) ..

هنا تنطلق خلفه صيحات آلاف من الجنود مكبرة سررات
ومرات .. ويذب الرعب قس قلوب الرومانيين ويظنون أن
المسلمين قد دخلوا الحصن ، ويقولون الأتباع حاربين فارين ..
ويشجع (الزبير بن العوام) إلى باب الحصن فيفتحه ،
ويدخل المسلمون لينتهى هذا الحصار دون إراقة نقطة دم
واحده .. لمسجل التاريخ مرة أخرى اسم (الزبير بن
العوام) قائدا فذا في كتاب الجهاد في سبيل الله .

ويواصل (ابن الزبير) جهاده تحت إمارة (عمرو بن
العاص) لفتح باقي أقاليم مصر ، ويكون له دور بارز في
فتح الإسكندرية ..

لله درك أيها الخارب الشريف .. وأيتها المقاتل القوي ..
لقد وهبت حياتك كلها للنضال في سبيل الله وفي سبيل
دعوته .. ولم تطمع في أي شيء آخر حتى قبل عنك :

"إنه ما ربي إمارة قط ، ولا جباية ، ولا خراجا ولا شيئا إلا
الغزو في سبيل الله"

كذلك عفا (الزبير) عن الوظائف والمهام غير القتالية
رغم أن عائدها كان عجزيا .. ومجهودها قليل ..

لقد أثر أن يحدّد هدفه (نشر دعوة الإسلام) كما أنه حدد
رسيلته (الجهاد في سبيل الله) ..

ولم يكن الزبير مقاتلا في سبيل رفعة الإسلام فقط بل
كان بلاذلا للعمل .. أنفق كل ثروته في سبيل الله حتى مات
وهو مدبر ..

لقد أحبه رسول الله وقربه من مجلسه .. فبهر المحارب
القوي ، والجواد السخي .. والذي أقرض الله قرضا حسنا ..
وكان الرسول يقول عنه :

"لكني نبي حوارى .. وحوارى الزبير بن العوام" .

فها هو ذا النبي يعترف بأن الزبير هو أقرب الناس إلى
قلبه وأكثرهم حرصاً عليه وتحملاً به نيا ورسولاً وإنساناً
عظيماً .
وإننا لننقذ أماناً وصفه (شاعر الرسول) حسان بن
ثابت للزبير وتتمثل هذه العظمة ، وهذا المجد الذي صنعه
محارباً في سبيل الله بمجد سيفه وبسالة عطائه .
يقول حسان :

أقام على عهد النبي وهديه
خواربه والقول بالفعل يعمل
أقام على منهجه وطريقه
يوالي ولي الحق والحق أهل
هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصون إذا ما كان يوم عجل

له من رسول الله قربي قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤثر
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطى ويجزل

سلام على الزبير بن العوام .
وسلام على رفيق كفاحه (طلحة بن عبيد الله) اللذين لم
يذكر أحدهما إلا وذكر الآخر .

فقد تشابها وتزاملا ..

أسلما في عام واحد ..

وقتلا في يوم واحد ..

ودفنا متجاورين ..

بشرهما النبي ﷺ بلجنة معا عندما قل

(طلحة والزبير جلاي في الجنة) .

